تفسير إبن كثير

لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا

قال البخاري : حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لما نزلت : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) دعا رسول االله صلى االله عليه وسلم زيدا فكتبها ، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته فأنزل االله [عز وجل] (غير أولي الضرر)حدثنا محمد بن يوسف ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لما نزلت : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) قال النبي صلى االله عليه وسلم : " ادع فلانا " فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال : " اكتب : لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل االله " وخلف النبي صلى االله عليه وسلم ابن أم مكتوم ، فقال : يا رسول االله ، أنا ضرير فنزلت مكانها : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل االله)وقال البخاري أيضا : حدثنا إسماعيل بن عبد االله ، حدثني

إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، حدثني سهل بن سعد الساعدي : أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد ، قال : فأقبلت حتى جلست إلى جنبه ، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره : أن رسول االله صلى االله عليه وسلم أملى علي : " لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل االله " . فجاءه ابن أم مكتوم ، وهو يمليها علي ، قال : يا رسول االله ، واالله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى - فأنزل االله على رسول االله صلى االله عليه وسلم ، وفخذه على فخذي ، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ، ثم سري عنه ، فأنزل االله : (غير أولي الضرر)انفرد به البخاري دون مسلم ، وقد روي من وجه آخر عن زيد فقال الإمام أحمد :حدثنا سليمان بن داود ، أنبأنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد قال : قال زيد بن ثابت : إني قاعد إلى جنب رسول االله صلى االله عليه وسلم ، إذ أوحي إليه ، قال : وغشيته السكينة ، قال : فوقع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة . قال زيد : فلا واالله ما وجدت شيئا قط أثقل من فخذ رسول االله صلى االله عليه وسلم ، ثم سري عنه فقال : " اكتب يا زيد " . فأخذت كتفا فقال : " اكتب : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر

والمجاهدون) إلى قوله (أجرا عظيما) فكتبت ذاك في كتف ، فقام حين سمعها ابن أم مكتوم - وكان رجلا أعمى - فقام حين سمع فضيلة المجاهدين فقال : يا رسول االله ، وكيف بمن لا يستطيع الجهاد ممن هو أعمى ، وأشباه ذلك ؟ قال زيد : فواالله ما مضى كلامه - أو ما هو إلا أن قضى كلامه - حتى غشيت النبي صلى االله عليه وسلم السكينة ، فوقعت فخذه على فخذي ، فوجدت من ثقلها كما وجدت في المرة الأولى ، ثم سري عنه فقال : " اقرأ " . فقرأت عليه : " لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون " فقال النبي صلى االله عليه وسلم : (غير أولي الضرر) قال زيد : فألحقتها ، فواالله لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع كان في الكتف .ورواه أبو داود ، عن سعيد بن منصور ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه ، به نحوه .وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن قبيصة بن ذؤيب ، عن زيد بن ثابت ، قال : كنت أكتب لرسول االله صلى االله عليه وسلم فقال : " اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل االله " فجاء عبد االله ابن أم مكتوم فقال : يا رسول االله إني أحب الجهاد في سبيل االله ولكن بي من الزمانة ما قد ترى ، قد ذهب بصري . قال

زيد : فثقلت فخذ رسول االله صلى االله عليه وسلم على فخذي ، حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه ، ثم قال : " اكتب : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل االله)ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال عبد الرزاق : أخبرني ابن جريج ، أخبرني عبد الكريم - هو ابن مالك الجزري - أن مقسما مولى عبد االله بن الحارث - أخبره أن ابن عباس أخبره : لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر ، والخارجون إلى بدر .انفرد به البخاري دون مسلم . وقد رواه الترمذي من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الكريم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضر عن بدر ، والخارجون إلى بدر ، لما نزلت غزوة بدر قال عبد االله بن جحش وابن أم مكتوم : إنا أعميان يا رسول االله فهل لنا رخصة ؟ فنزلت : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر) وفضل االله المجاهدين على القاعدين درجة ، فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر (وفضل االله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) درجات منه على القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر .هذا لفظ الترمذي ، ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .فقوله [تعالى] (لا يستوي القاعدون من

المؤمنين) كان مطلقا ، فلما نزل بوحي سريع : (غير أولي الضرر) صار ذلك مخرجا لذوي الأعذار المبيحة لترك الجهاد - من العمى والعرج والمرض - عن مساواتهم للمجاهدين في سبيل االله بأموالهم وأنفسهم .ثم أخبر تعالى بفضيلة المجاهدين على القاعدين ، قال ابن عباس : (غير أولي الضرر) وكذا ينبغي أن يكون لما ثبت في الصحيح عند البخاري من طريق زهير بن معاوية ، عن حميد ، عن أنس ; أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " إن بالمدينة أقواما ما سرتم من مسير ، ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه " قالوا : وهم بالمدينة يا رسول االله ؟ قال : " نعم حبسهم العذر " .وهكذا رواه الإمام أحمد عن محمد بن أبي عدي عن حميد ، عن أنس ، به وعلقه البخاري مجزوما . ورواه أبو داود عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن موسى بن أنس بن مالك ، عن أبيه عن النبي صلى االله عليه وسلم قال : " لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ، ولا أنفقتم من نفقة ، ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه " . قالوا : يا رسول االله ، وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : " حبسهم العذر " .لفظ أبي داود وفي هذا المعنى قال الشاعر :يا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا إنا

أقمنا على عذر وعن قدرومن أقام على عذر فقد راحاوقوله : (وكلا وعد االله الحسنى) أي : الجنة والجزاء الجزيل . وفيه دلالة على أن الجهاد ليس بفرض عين بل هو فرض على الكفاية .ثم قال تعالى : (وفضل االله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) ثم أخبر تعالى بما فضلهم به من الدرجات ، في غرف الجنان العاليات ، ومغفرة الذنوب والزلات ، وحلول الرحمة والبركات ، إحسانا منه وتكريما ; ولهذا قال تعالى :